القصص الديني

الحلقة الثالثة
قصص الخلفاء الراشدين

مقتل الإمام

عبد الحميد جودة السحار

٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهْ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهْ » .

(قرآن كريم)

١

اجتمع الحَكمان أبو موسى الأشعريُّ وعمرُو ابنُ العاص فى دُومةِ الجندل ، وخدع عمرٌو أبا موسى ، فخلع أبو موسى عليًا ، وثبَّت عمروٌ معاوية ، ورأى عليٌّ أنَّ الحكَمين لم يحكُما بما فى كِتابِ اللّه ، فطلب من أهلِ العراقِ التأهُّبَ للخروجِ لقتالِ أهلِ الشّام ، ولكنَّ أهلَ العراقِ لم يسمعوا له ـ كما هى عادتُهم ـ بل طلبوا منه أن يقاتِلَ الخوارج ، ثم إذا انتهى منهم خرج لقتالِ أهل الشّام .

وانتصرَ عليٌّ على الخوارج عند النَّهرُوان ، وتأهَّب للسَّير إلى الشّام ، ولكنَّ أنصاره تركوا

العسكرَ فارغا ودخلوا بيوتَهم . وآن أوانُ الحَجّ ، فأرسلَ عليٌّ عاملَه ، على الحجّ ، وأرسل معاويةُ عاملَه ، واختلف العاملان ، وكان بينَ الحُجّاج، بعضُ الخوارج ، فاجتمعوا وقالوا :

ـ كان هذا البيتُ (الكعبة) معظمًا فى الجاهلية ، جليلَ الشَّأن فى الإسلام ، وقد انْتَهَك هؤلاء (أى عليٌّ ومعاوية) حرمتَه ، فلو أنَّ قومًا شرَوْا أنفسَهم، فقتلوا هذين الرَّجلين اللّذين أفسدا فى الأرض ، واستحلاّ حرمةَ هذا البلد ، استراحت الأُمَّة ، واختارَ النَّاس لهم إماما .

فقال عبدُ الرحمن بن مُلْجَم :

ـ أنا أكفيكُم عليّا .

وقال الحجّاجُ بن عبد الله الصَّريمى :

ـ أنا أقتلُ معاوية .

وقال زاذَوَيْه :

ـ واللّه ما عمروُ بنُ العاص بدونهما ، فأنا بـه .
واتّفقوا على يوم واحدٍ يكون فيه القتل ، ثم انطلق
كلٌّ منهم إلى صاحبه الّذى توجه إليه .

٢

كانت قَطامُ ابنةُ الشِّجْنَةَ فائقةَ الحسن ، وكـانت
تكرهُ الإمامَ عليَّ بنَ أبى طالب ، فقد قتـلَ أباها
وأخاها يوم النّهْرُوان ، يوم قاتل الخوارج ، فكانت
لا تفكّر إلاّ فى قتلِ عليّ ، والثأر لأهلِها .

وفى ذاتِ يوم جـاءَ عبـدُ الرّحمـن بـنُ مُلجَـم إلى
بعض الخوارج، فرأى قطام عندهم ، فأسره جمالُها،
وشغلته حتى كادت تُنسيَه حاجته .

وتمكّنَ حبُّ قطامٍ من قلبِ ابنِ مُلجَـم ، فتقـدَّم
يخطبُها ، فقالت له :

ـ لا أتزوَّجُك حتى تَشفِيَ لى .

ـ وما يَشفيك ؟

ـ ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقَيْنةٌ .

وقتلُ عليٍّ بالحُسامِ المهَنّدِ .

فقال ابن ملجَم :

— هو مهرٌ لك ، فوالله ما جاء بى إلى هذا القطر إلا قتلُ عليّ . فلك ما سألت .

— إنّى أطلبُ لك من يسندُ ظهرك ، ويساعدُك على أمرِك .

وأقام ابنُ مُلْجَم عند قَطام ، ومرَّتِ الأيّامُ ولم ينفِّذْ ما عزم عليه . فاستولتْ عليها الوساوس ، وخشِيَتْ أن يُحجمَ عمَّا عزم . فالتفتتْ إليه وقالت :

— لطالما أحببتَ المكثَ عند أهلِك ، وأضربتَ عن الأمرِ الذى جئتَ بسببه .

— إنَّ لى وقتاً واعدتُ فيه أصحابى ، ولن أجاوزَه . وخرج ابنُ ملجَم فلقِيَه رجلٌ من الخوارج ، فقال له :

— هل لك فى شرفِ الدنيا والآخرة ؟

ـ وما ذاك ؟

ـ تساعدُنى على قتلِ علىّ .

ـ ثكِلتكَ أمُّك ، لقد جئتَ شيئاً إدّا ، قد عرفتَ غَنَاءَه فى الإسلام ، وسابقته مع النبىِّ صلَّى اللّهُ عليه وسلَّم .

ـ ويحَكَ ، أما تعلمُ أنه قد حكَّمَ الرِّجالَ فى كتاب اللّه ، وقتلَ إخواننا المُصلِّين ، فنقتلُه ببعضِ إخواننا .

ـ وكيف نَقْدِرُ ويحَكَ على قتلِ ابن أبى طالب ؟

ـ نكمنُ له فى المسجدِ الأعظم ، فإذا خرج لصلاةِ الفجر ، فتكنا به وقتلناه ، وشفَيْنا أنفسَنا منه ، وأدركنا ثأرَنا.

فلم يَـزَلْ به حتى أجابَه . وذهب ابنُ مُلْجَم وصاحبهُ إلى قَطام ، وهى فى المسجدِ الأعظمِ معتكفة ، فقالا لها :

ـ قد أجمعَ رأيُنا على قتلِ علىّ .

ــ فإذا أردتُم ذلك فأتونى .

٣

وَوافى اليومُ الذى تواعَد فيه الخوارجُ على قتلِ عليٍّ ومعاويـةَ وعمـرو ، فدخـل ابـنُ مُلْجَم على قطام ، فقال لها :

ــ هذه الليلةُ التى واعدتُ فيها صاحبىَّ أن يقتـلَ كلُّ واحدٍ منّا صاحبَه .

وجاء ذلك الذى أَجابَه إلى الاشتراكِ معه فى قتل علىّ ، فقالت لهما قطام : إن ثالثاً سيخرجُ معهمـا لقتلِ علىّ ، وجاءت بالحريرِ فعصَبتهم به ، وأخذوا أسيافَهم ، وذهبـوا إلى المسـجد ، لاغتيـال أمـيرِ المؤمنين .

وخرج علىّ ، وجعل يُنهض الناسَ من النـومِ إلى الصَّلاة ، ويقول :

ــ الصَّلاة الصَّلاة .

فهجم عليه أحدُهم ، وضربه بالسَّيف ، ثم ضربه ابنُ مُلْجَم بالسيف على قَرنِه ، فسَال دمُه على لحيتِه ، وصاح ابنُ ملجم :

ـ لا حكمَ إلاّ للّه ، ليس لك يا عليُّ ولا لأصحابك . ومن الناس من يَشرى نفسَه ابتغاءَ مرضاةِ اللّه ، واللّه رءوفٌ بالعباد .

وقال عليّ :

ـ لا يفوتنّكم الرجل .

وهجم النّاسُ على ابن مُلجَم من كلِّ جانب ، حتى أخذوه. وحُمل الإمامُ ، حتى إذا ما استقرَّ فى داره قال :

ـ عليَّ بالرجل .

فأدخل عليه ، فالتفتَ إليه وقال :

ـ أىْ عدوَّ اللّه ، ألم أحسن إليك ؟

ـ بلى .

ـ فما حملك على هذا ؟

ـ شحذتُه أربعينَ صباحا ، وسألتُ اللّه أن يقتلَ به شرَّ خلقِه .

ـ لا أَراكَ إلا مقتولاً بـه ، ولا أراك إلا من شرِّ خلقِه .

ونظر الإمام إلى الحسن ، وقال :

ـ أطيبوا طعامَه ، وألينوا فراشَه ، فإن أعشْ فأنا وليُّ دمي ، إمَّا عفوتُ وإمّا اقتصصت ، وإن أمتْ فـألْحِقوه بـي ، ولا تعتَـدوا ، إنَّ اللّـهَ لا يُحِـبُّ المعتدين .

وخـرج الحسـنُ بـابن ملجَـم وهـو مكتـوف ، فخرجت أمُّ كُلثومِ ابنةُ الإمام تبكـي وتنتحـبُ وتقول :

ـ يا عدوَّ اللّهِ قتلتَ أميرَ المؤمنين .

ـ ما قتلتُ أميرَ المؤمنين ، ولكن قتلتُ أباك .

ـ واللّه إنّي لأرجو أن لا يكونَ عليه بأس .

ـ ولِمَ تبكين إذن ؟ واللّهِ لقد أرهفتُ السَّيف ، ونفيتُ الخوف ، وضربتُ ضربةً لو كانت بأهلِ الشَّرقِ لأتت عليهم .

٤

وحَمَل صاحبُ معاويةَ عليه وهو خارجٌ إلى صلاةِ الفجر ، فضربهُ بخنجر مسموم ، فجاءت الضربةُ فى وِرْكه ، وأمسِك بالرَّجُل ، وجىءَ به إلى معاوية ، فقال :

ـ اتركنى ، فإنّى أبشِّرك ببشارة .

فقال معاوية :

ـ وما هى ؟

ـ إنَّ أخى قتل فى هذا اليوم عليَّ بن أبى طالب.

ـ فلعلَّه لم يقدِرْ عليه !

ـ بلى ، إنَّهُ لا حرسَ معه .

وأمر معاويةُ به فقُتل .

وأما صاحبُ عمرو ، فإنه كَمنَ له ، ليخرجَ إلى الصَّلاة ، فاتّفق أن عرضَ لعمرو بن العاص مغص شديدٌ فى ذلك اليوم ، فلم يخرجْ إلا نائبُهُ إلى الصلاة ، وهو خارجةُ بنُ أبى حبيبة ، فحملَ عليه الرَّجل ، فقتله وهو يعتقدُه عمرَو بنَ العاص ، وقُبض على الرَّجل ، وجيءَ به إلى عَمرو ، فقال :

ــ أردتُ عمرًا وأراد اللّه خارجة .

فأمر عمروٌ به فضُربت عنقُه .

ونجا معاويةُ وعمرو ، وراح الإمام يعانى سَكراتِ الموت .

٥

دخل الناسُ على الإمامِ يسألونَه ، فقالوا :

ــ يا أميرَ المؤمنين ، أرأيتَ إنْ فقدناك

ــ ولا نفقِدُك ــ أنبايعُ الْحَسن ؟

ــ لا آمرُكم ولا أنهاكُم ، أنتم أبصر .

ـ ألا تَعْهَدُ يا أَميرَ المؤمنين ؟ (أى ألا تعيِّنُ الخليفةَ من بعدِك) .

ـ لا ، ولكن أتركهم كما تركهم رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم .

ـ فماذا تقولُ لربِّك إذا أَتيتَه ؟

ـ أَقول : اللّهمَّ إنك أبقيتَنى فيهم ما شئتَ أن تُبقيَنى ، ثم قبضتَنى وتركتُك فيهم ، فإن شئتَ أَفسدتَهم ، وإن شئتَ أصلحتَهم .

ثم دعا ابنَيْه الحسنَ والْحُسين ، فقال :

ـ أُوصيكما بتقوَى اللّه ، وألا تبغِيا الدُّنيا وإن بغتكُما ، ولا تبكِيا على شيءٍ زُوِى عنكُما ، وقولا الحق ، وارحما اليتيم ، وأغيثا الملهوف ، واصنعا للآخِرة ، وكونا للظالِمِ خصما ، وللمظلومِ ناصرا ، واعملا بما فى الكتاب ، ولا تأخذكما فى اللّه لومةُ لائم .

ووَهنَ أميرُ المؤمنين ، وراح الرجلُ العظيم يجود بأنفاسِه ، فخشِيَ أن يطيشَ الغضبُ بعقـولِ بَنيـه ، فقال لهم :

ـ يا بنى عبدِ المُطَّلب : لا أَلفِينَّكم تخوضونَ دماءَ المسلمين، تقولـونَ قُتـل أميرُ المؤمنـين ، قُتـل أميرُ المؤمنين ، ألا لا يُقتلْ إلا قاتلى .

ثم راح أميرُ المؤمنين يردّد :

ـ لا إلهَ إلاّ اللّه . . لا إلـهَ إلاّ اللّـه .. لا إلـهَ إلاّ اللّه . «فمـن يعمـلْ مثقـالَ ذرَّةٍ خـيرًا يـرَه ، ومـن يعملْ مثقالَ ذرَّةٍ شرًّا يرَه »

ولفظ الإمـامُ نفسَـه الأخـير ، فمـات خـيرُ أهـلِ زمانِه ، وانتهى بموته عهدُ الخلفاء الرَّاشدين ، وبَـدَأَ معاويةُ فى الشَّام تأسيسَ دولةِ الأمويِّين .

وخرج الحسنُ إلى النَّاس ، وعليـه ثيابٌ سود ، فقال وهو يغالبُ دموعَه :

ـ لقد قُبِضَ في هذه الليلة ، رجلٌ لم يَسبقْه الأوَّلون ، ولا يُدركُه الآخرون . لقد كان يُجاهد مع رسولِ اللّهِ صلى اللّه عليه وسلّم وآله ، فيسبقُه بنفسِه ، وقد كان يوجِّهه برايتِه ، فلا يرجعُ حتى يفتحَ اللّه عليه ، ولقد تُوُفِّيَ في الليلةِ التي عُرِج فيها بعيسَى بن مريمَ (أي في الليلةِ التي رُفِع فيها عيسى إلى السماء) ولا خلَّفَ صفراءَ ولا بيضاءَ ، إلا سبعَمائةِ دِرهم من عطائِه ، أراد أن يبتاع بها خادمًا لأهلِه.

ثم خنقتْه عَبَراتُه ، فبكى ، وبكى الناسُ معه .

وبعثَ الحسنُ إلى ابن مُلْجَم ، فقال للحسن :

ـ إنِّي واللّهِ ما أعطيتُ عهدًا إلا وفيتُ به ، إنِّي كُنتُ قد أعطيتُ اللّهَ عهدًا أن أقتلَ عليًّا ومعاويةَ أو أموتَ دونَهما ، فإن شئتَ خلَّيتَ بيني وبينَه ، ولكَ عليَّ عهد اللّه إن أنا لم أقتلْه ، أو قتلتُه ثم بقيت ، أن آتيَكَ أضعُ يدي في يدك .

ـ أما والله حتى تعاينَ النار فلا .

وقُتِل ابنُ مُلْجَم ، فأخذه الناس ، ثم أحرقوهُ بالنَّار ، لعلَّهم يَشفُونَ نفوسَهم التى كانت ترعى النارُ فيها حزناً على الإمامِ العظيم ، الذى كان خيرَ أهلِ زمانِه .